مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

تقرير الندوة الرابعة
مختبر الفنون البصرية

الإبداع البصري واقتصاديات الخليج

د. عصام عبد الله العسيري
مشرف مختبر الفنون البصرية

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

عقدت هذه الندوة بتاريخ 27/8/2023م وشارك فيها كل من:

1. د. عبد الله الحبي من السعودية، وهو فنان وأكاديمي.
2. د. خليف محمود من العراق، وهو فنان وأكاديمي.
3. أ. محمد سلمان من مصر، وهو صاحب جاليري فنون.

أهم ما طرح ودار في هذه الندوة:

طرح المتحدثون في الندوة الرابعة لمختبر الحوار الثقافي الخليجي أوراق عمل هادفة، تناولت قضية الإبداع في مجالات الفنون البصرية واقتصاديات الخليج، والتي تهدف للتالي:

1. عرض دور الإبداع الفني في الفنون البصرية، وتوضيح دوره في تنمية الاقتصاد المحلي.
2. التعريف بسوق الفن، ومجالاته القائمة في اقتصاد اليوم.
3. توضيح دور الفن التشكيلي في التنمية الاقتصادية، كاقتصاد المعرفة، واقتصاد المستقبل القائم على الإبداع.

عرضت أوراق العمل لهذه الندوة العديد من مجالات الفنون البصرية الموجودة في الثقافة والحياة مثل: فنون الرسم، والتي تشمل قلم الرصاص، والفحم، وأقلام الحبر، والتلوين بالزيت، والإكريليك، والماء، والقواش، والباستل، والتصميم بعدة مجالاته الخارجية والداخلية، والزخرفة بمجالاتها النباتية، والهندسية، والخطية، والحيوانية، والآدمية، وأشغال الخزف ومنتجاته المتنوعة في البناء، وأدوات المطبخ، وأطقم الحمامات، وسيراميك الأرضيات، والجدران، والخشب ومنتجاته المختلفة، والمعادن كالنحاس، والألمنيوم، والحديد، والذهب، والفضة، والأزياء للجنسين ولكافة الأعمار، والنسيج والأغطية، والبلاستيك بمنتجاته المتنوعة كالأثاث، والديكور، ووسائل النقل المختلفة كالإعلانات، والفنون التجارية والصناعية كتصميم المنتجات والتعليب، والتغليف، وفنون وتصميم الجرافيك، وفنون التصوير الثابت والمتحرك، والسينما، والتصميم الصناعي والمنتجات المختلفة، والكثير من المجالات في الفنون المرئية.

فمنذ عصر النهضة الأوروبية أصبح الفن عنصرا مكونا لقوة الدولة وصناعتها، وأصبحت المجموعات المتحفية من وسائل النفوذ بعد تنشيط حركة السوق الفنية، وجعلها جزءا لا يتجزأ من المعادلات التجارية، ورافدا مهما للاقتصاد. ولم يكن تأسيس المتاحف التي تتضمن الأعمال الفنية، والتحف الثمينة، إلا شاهدا على رفعة الدولة، وسيادتها، وهيمنتها، حيث أصبحت المتاحف جزءا لا يتجزأ من

اقتصاد الدولة، ويؤثر ويتأثر بها. في حين أننا لم نجد ذلك في البلدان العربية من حيث ملامح السوق الفنية المنظمة، ولم يرتق الاقتناء الفني إلى ظاهرة السوق المنظمة بالشكل الصحيح، فضلا عن أن جمهور المشاهدين للفنون التشكيلية ضئيل جدا، ولا يضم إلا جزءا يسيرا من المتلقين، وذوي الإحساس الفني، والذوق الجمالي، وذلك لضيق الآفاق الثقافية والفنية. كما أن الطفرات المفاجئة التي انتقلت بالفنان من محاكاة واقعية إلى تجريدية غامضة من دون تسلسل أسلوبي، أفقدها صلتها بالجذور والأصل، فما أعظم أن يستلهم الفنان الشرقي من كنوزه الجانب الروحي، ويتخذ منها منطلقا لمذاهب فنية متعددة تساير روح العصر، ومتطلبات المجتمع الجديد، إذ ما زالت المنابع الجمالية في الشرق تتدفق بالغنى الفني، وما زال التراث لم يبوح بجميع أسراره.

ذكرت أوراق عمل المتحدثون العوامل المهمة التي تحرك الإبداع، وسوقه في المجتمع، مثل: العوامل السياسية، وهي مستقرة في دول الخليج العربي. والعوامل الثقافية المتنوعة، والروافد الغنية بتراثها. والعوامل الاقتصادية، والمرجو تنوع مصادرها، ووضوح مقومات اقتصاد الخليج، وأسواقه الفتية، مثل: الشراكة مع المتاحف العالمية كمتحفي اللوفر وفكتوريا، والتعاون مع صالات العرض الخليجية والدولية بدور المزادات الكبرى ككريستيز وسوثبيز، والتواصل مع الشركات المالية الكبرى الدولية كال "UBS"، وإبرام الاتفاقيات مع البنوك المحلية والدولية كالبنك الثقافي، والبنك الاجتماعي في السعودية، وصناديق الاستثمار، والاتفاق مع شركات الاتصالات ووسائل التواصل الاجتماعي بالعالم، والترابط مع الوزارات التعليمية، والصناعية، والتجارية، في دول الخليج والوطن العربي.

وفي مسألة تأسيس دور المزادات العالمية نشأتها وتطورها منذ القرن الثامن عشر في أوروبا، تناولوا المتحدثون سوق الفن في السعودية ودول الخليج، وذكروا أنه سوق جديد وفيه عدة صالات عرض في كل العواصم الخليجية، والمدن الكبرى، وأهم الفنانين الخليجيين التي وصلت أعمالهم للعالمية من جيل الرواد كعبد الحليم رضوي، ومحمد السليم، وعبد الرحمن السليمان، وعبد الله المرزوق، ويوسف جاها وغيرهم الكثير. ومن جيل الصاعدين التي اقتنت لهم متاحف عالمية مثل أعمال الفنان فهد خليف، وأحمد ماطر، وعبد الناصر الغارم، ومع ذلك لا زال سوق الفن يعاني من ضعف البيانات الخاصة بتداول الأعمال الفنية.

كما ذكرت أوراق العمل أيضا بعض السياسات التي من شأنها دعم الاستدامة لهذا القطاع واستمراره مزدهرا في النمو، وكانت تلك النقاط هي توصيات الجلسة للجهات المسؤولة ذات العلاقة بالاقتصاد، والثقافة، والتعليم، والإبداع.

وفي ذات الأمر، أثار المتحدثون قضية صناعة الفن المبدع، وضرورة البحث عن الموهوبين، والمتميزين المتفوقين، في كل مجال من مجالات الفنون البصرية الشائعة في الثقافة والحياة العامة الذين من شأنهم دعم النمو الاقتصادي والحضاري لدول الخليج، فتحدثوا عن اقتصاد الفنون البصرية، ودوره في الميزان الاقتصادي العام لدول الخليج العربي اليوم، وضرورة البحث في العناصر التي تقوم بها الاقتصادات عموما، وبحث ودراسة الصناعة، فإذا أردنا بناء اقتصاد فني بصري قوي تتوافر فيه مقومات الاستمرارية، وخلق فرص العمل، وتحقيق الربح للمواكبة، والتطوير، ونقل اقتصاد الفنون البصرية إلى أسواق عالمية، يجب أولا صناعة الفنان؛ فالعملية الإبداعية بكل مقومتها، وما يقوم عليها من اقتصاد، وتداول تبدأ وتنتهي عند الفنان، وهو وقود تلك الصناعة والعمل الفني الذي ينتجه هذا الفنان، وهو المحرك الأساسي في اقتصادها، وهذا يتطلب البحث عن المواهب واحتواءها، وتوفير المجال المناسب لاكتشاف الإبداع ورعايته، وصقل تلك الموهبة بالدورات، والتعليم الأكاديمي المتطور، وتدريب تلك المواهب للدخول إلى سوق العمل، وتدريب الفنان الجديد على إدارة ذاته، وتنمية موهبته، وتوفير الدعم المادي المناسب للوصول به إلى أعلى مستوى.

وفي مسألة صناعة المنتج والمسوق الفني المحترف في العمل باعتبارهم المشغلين لهذا القطاع، والحراك الثقافي، والاقتصادي. فإن هذا يستلزم عدم الانحياز لمدرسة فنية أو جماعة بعينها، فالفن لا يقبل التقييم، لأن الأذواق متعددة ومتنوعة، والعمل على دعم الأجيال الصاعدة من الفنانين والمواهب الشابة، والتخلي عن فكرة العمل على عرض وتسويق فنون كبار الفنانين والرواد منهم فقط، والانفتاح على جميع الأعمار من المبدعين، والعمل على إيصال الأعمال الفنية إلى الجمهور، وطرحها للحكم عليها دون انحياز لمدرسة فنية أو جماعة معينة، وتطوير الروتين المصاحب لطرق عرض الفنون البصرية، والتحرر من فكرة الحوائط، وتجريب آفاق عرض للقطع الفنية الجديدة والمثيرة للجمهور.

وأشار المتحدثون إلى دور المؤسسات الحكومية والأهلية من الثقافة، والإعلام، ورؤوس الأموال، حيال المبدعين والموهوبين من الرسامين، والمصورين، والنحاتين، وفناني الكمبيوتر، لجعل إبداعات الفنون الجميلة والبصرية كأصول استثمارية شأنها شأن العقارات، والأسهم، والسندات، التي لها قيمتها في التداول. وتبع ذلك بعض الملاحظات الهامة في هذا المجال كدور مؤسسات الدولة: مثل: الفن عامل جذب سياحي مهم، والسياحة مصدر مهم ومؤثر في اقتصاديات الدول، واستخدام الفن في المحافظة على الهوية البصرية، وتوطيد عجلة التقدم في شتى الفروع الاقتصادية في بناء المجتمع بما يواكب الإيقاع السريع الذي يشهده العالم. ومهما بلغت قوة الاقتصاد لن تبرز وتؤثر إلا إذا صاحبها حالة فنية

وثقافية متجددة ومعبرة عن روح العصر، والاهتمام بإنشاء العديد من المراكز الثقافية الفاعلة على فكرة صناعة الفنون البصرية، ومثال على ذلك: معهد مسك للفنون بالمملكة العربية السعودية، والاهتمام بإنشاء المتاحف لنشر الوعي البصري، وتنشيط الحالة الثقافية، وخلق حراك فني متزن يخاطب مجتمعات دولية، مثل: متحف اللوفر أبو ظبي، ومتحف الفن الإسلامي بالدوحة. وعمل محافظ بنكية فنية، وتشجيع ونشر ثقافة الادخار في الفنون البصرية، وطرح الأعمال الفنية في البورصة. فاليوم أصبحت تلك الأعمال كالأسهم، والسندات، والأصول المنقولة، فن للجميع وينشر الثقافة البصرية، ويعكس حضارة البلاد.

كما أكدوا على صناعة الصورة وأهمية دور الفن في كل فروع الاقتصاد، فمن الأخطاء الشائعة التي تواجه هذه المسألة هي قلة عدد جمهور ومقتني الفنون البصرية، ولذلك يجب دخول صناعات عديدة في عملية التحضير، وظهور عمل فني من أدوات يحتاج إليها الفنان، وتدشين صناعات لوجستية عديدة تساعد الحركة الفنية الاقتصادية.

واختتمت الندوة بالحديث عن حياة الإبداع الفني في الحراك الاقتصادي والثقافي الذي تمثل في تأسيس المتاحف الوطنية والفنون الحديثة، مثل: المتحف الوطني السعودي، ومتحف اللوفر في أبو ظبي، ومتحف الفن الإسلامي في الدوحة، وما قامت به هيئات الطيران المدني من تجميل المطارات بأعمال فنية تعكس المستوى الحضاري، والجمالي، والإبداعي، كمطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة، ومطار الملك خالد الدولي بالرياض ومطار الأمير محمد بن عبد العزيز الدولي بالمدينة المنورة الذين ضموا أعمالا بديعة لفنانين محليين، وعرب، وعالميين.

ومن هذا كله وعبر هذه الشواهد الحية، فإن إسهام الاقتصاد الخليجي، وإحاطته بمفاصل مهمة من سيرورة الإبداع تدعو لمثل هذه المقاربة، على الرغم من حاجة الإبداع البصري إلى خطوات أكبر من كل ما تقدم، لكي نصل إلى تجربة إبداعية تنطلق من عمق التفكير العربي، ورصد المتغيرات الاجتماعية من أجل التعبير عنها في التصوير العربي، أو في حقل النحت والحقول الابداعية الأخرى.

وفي النهاية نأمل أن يكون هناك إبداع بصري خليجي وعربي يواكب الفن العالمي المعاصر بعيدا عن التهميش، فهذا الجمال الإبداعي البصري بما يتعلق بالاقتناء، وغياب مرتكزات السوق الفنية التي يلقي الاقتصاد بظلاله عليها، يفسر لدينا في العالم العربي، وتحديدا الخليجي، حركات فنية بحجم ما لدينا من تجارب إبداعية، لكن لا زال الافتقار إلى حركة الاقتناء الفني الذي يستجيب لتطلعات هذه التجارب، وإن وجدت فهي نتاج سلوك لا يحسد عليه.

أبرز التوصيات الصادرة عن الندوة:

1. خلق قيمة اجتماعية، وثقافية، واقتصادية، طويلة الأجل للحفاظ على التراث الثقافي، والفنون البصرية.
2. جلب المزيد من الموارد لضمان الحفاظ على الإبداع الفني على المدى الطويل.
3. إنشاء متاحف بمواصفات عالمية.
4. خلق فوائد للمجتمع المحلي، وتنمية الفرص الاقتصادية والمهنية للتشكيليين.
5. تسهيل ودعم المنشآت الفنية.
6. التدخل الحكومي في دعم وتنمية الاقتصاد المعرفي للفنون.

© جميع الحقوق محفوظة لمركز الخليج للأبحاث وشركة المعرفة